مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 26 عدد: 6 (رت 68) السنة: 2022

طريقة محمّد عبد الله الشّرقاوي في نقد الإنجيل.
كتابه "في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات" أنموذجا.

The method of Muhammad Abdullah Al-Sharqawi in criticizingthe Bibl .
His book "In Comparing Religions, Research and Studies" is a model

نسيمة أيت شعيت[1]
طالبة دكتوراه جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.قسنطينة
مخبر البحث في حوار الحضارات والأديان
n.ayitcheite@emir-univ.dz
الأستاذ الدكتور فاتح حليمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.قسنطينة
halteh62@yahoo.com

تاريخ الوصول 2022/03/24 القبول 2022/09/02 النشر على الخط 2022/09/15
Received 24/03/2022 Accepted 02/09/2022 Published online 15/09/2022

ملخص:

تدور فكرة هذا الموضوع حول طريقة محمّد عبد الله الشّرقاوي في نقد الإنجيل في ضوء المعارف الحديثة، من خلال كتابه "في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات"، حيث ارتكز نقده على توظيف خاصيتي انقطاع السّند وتناقض المتن، مبيّنا مواطن انقطاع السّند وتناقض المتن الحاصل فيه، مستفيدا في ذلك من دراسات لعلماء لاهوتيين متخصصين في مجال النّقد العلمي للكتاب المقدس.

وخلص أخيرا إلى أنّ الإنجيل لا يستجيب لهاتين الخاصيتين، بل ولا يندرج تحت مسمّى الوحي الإلهي لما لحقه من تغيير وتبديل.

الكلمات المفتاحية: طريقة، محمّد عبد الله الشّرقاوي، نقد، الإنجيل، مقارنة الأديان.

Abstract:

The idea of this topic revolves around Muhammad Abdullah Al-Sharqawi's method of criticizing the Bible in the light of modern knowledge, through his book: "In Comparing Religions, Research and Studies", where his criticism was based on employing the characteristics of the interruption of the bond and the contradiction of the text, indicating the areas of the discontinuity of the bond and the contradiction of the text in it.

Benefiting from studies by theologians who specialize in the field of scientific criticism of the Bible, and finally concluded that the Bible does not respond to these two characteristics, and does not even fall under the name of divine revelation because of the change and alteration that it has undergone.

Keywords: Method, Muhammad Abdullah Al-Sharqawi, Criticism, Gospel, Comparison of Religions.

[1] المؤلّف المراسل: **نسيمة أيت شعيت** البريد الإلكتروني: **n.ayitcheite@emir-univ.dz**

مقدمة:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصّلاةُ والسّلامُ على سيّد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

يعدّ علم مقارنة الأديان من العلوم التي اعتنى بها العلماء قديما وحديثا، لما يكتسيه من أهميّة في العلوم، ذلك أنّه ومن خلاله نتطلع إلى الدّيانات المختلفة، قصد سبر أغوارها وفهم محتواها، بل ودراستها دراسة موضوعية وفق أسس ومناهج علميّة، ومن ثمّ الكشف عن مدى صحتها وتطابقها مع ما جاء به الوحي الصحيح.

وقد كان للعلماء المسلمين دورا بارزا في هذا المجال، بل وكان لهم السّبق في وضع بعض أسسه قبل ظهور هذا العلم عند الغربيين بهذه التّسمية وهذه المناهج، وهذا ما أكده عبد الله دراز بقوله:"...إنّ أثر العرب والمسلمين في علم الأديان، يمتاز بطابعين جديدين: أوّلا: أنّ الحديث عن الأديان أصبح على يد العلماء المسلمين، دراسة وصفية واقعية منعزلة عن سائر العلوم والفنون شاملة لكافة الأديان المعروفة في عهدهم. ثانيا: أنّ العلماء في وصفهم للأديان المختلفة لم يعتمدوا على الأخيّلة والظنون، ولكنّهم كانوا يستمدون أوصافهم من مصادرها الموثوق بها... وهكذا بعد أن اختطّوه علما مستقلا، اتخذوا له منهجا علميّا سليما"[1]، حيث كانوا اللّبنة الأولى التي مهدت فيما بعد إلى ظهور دراسات حديثة اتسمت بالطابع النّقدي للنّصوص الدينية، خاصة فيما يتعلق بنقد الكتاب المقدس بعهديه.

وقد كان لهذه الدّراسات الأثر البالغ في كشف خبايا وأسرار الكتاب المقدس، وذلك لاعتمادها على معطيات علمية حديثة، مكّنتها من تحقيق قفزة نوعية في مجال الدّراسات النّقدية المقارنة.

ومن المعاصرين الذين اهتموا بهذا الجانب وأولوه عناية كبيرة، الأستاذ محمّد عبد الله الشّرقاوي، الذي ألّف في هذا المجال، منها كتابه "في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات"، والذي يعدّ عند المختصين كتابا هامّا في هذا المجال، ومن ثمّ اخترناه كعينة للبحث والدّراسة.

1.إشكالية البحث:

يطرح البحث تساؤل جوهري، والذي مفاده: ما هي الطّريقة التي سار عليها محمّد عبد الله الشّرقاوي في نقده للأناجيل الأربعة؟، وما مدى فعّاليتها في نقد هذه الأناجيل من النّاحية العلميّة؟.

2.أهداف الدّراسة:

إنّنا نهدف من خلال هذه الدّراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف نوجزها في النّقاط التّالية:

أ.التّعريف بشخصية محمّد عبد الله الشّرقاوي، وإسهاماته في علم مقارنة الأديان.

ب.معرفة طريقة الشّرقاوي في نقد الأناجيل الأربعة من خلال كتابه"في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات".

ج.معرفة كيف طبق الشّرقاوي خاصيتي انقطاع السّند وتناقض المتن على الأناجيل الأربعة، وأهم النّتائج المتوصل إليها.

د.بيان إيجابيات وسلبيات طريقة الشّرقاوي في نقد الأناجيل الأربعة.

---

[1] – محمّد عبد الله دراز، الدين، مؤسسة إقرأ، القاهرة، مصر، دط، 2007م، ص 28.

3.منهج الدّراسة:

ولتحقيق أهداف البحث استخدمنا المنهج الاستقرائي في جمع وتركيب الأفكار من مؤلّف الشّرقاوي"في مقارنة الأديان"، قصد الوصول إلى نتائج صحيحة منطقية لأبعد حد، كما استعنا بالمنهج التّحليلي بغرض الوصول إلى فهم صحيح للكيفية التي نقد بها الشّرقاوي الأناجيل الأربعة.

4.الدّراسات السّابقة:

بالنّسبة للدّراسات السّابقة، فإذا كانت هذه الأخيرة تشير إلى الأطروحات الأكاديمية، سواء تعلق الأمر بمذكرات ماجستير أو دكتوراه، فإنّني لم أجد على حدّ علمي دراسة مستقلة بهذا العنوان، وهذا بناء على ما قمت به من استطلاع واستقصاء حول الموضوع.

وللإجابة على إشكالية البحث قسّمنا مقالتنا إلى مقدمة وثلاثة محاور، حيث خصصنا المحور الأوّل للتّعريف بشخصية محمّد عبد الله الشّرقاوي، أمّا المحور الثّاني فهو دراسة علميّة لكتاب"في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات"، والمحور الثّالث والأخير فتناول طريقة محمّد عبد الله الشّرقاوي في نقد الأناجيل الأربعة، وأخيرا ختمنا المقالة بأهمّ النّتائج المتوصل إليها.

المحور الأوّل: ترجمة حياة "محمّد عبد الله الشّرقاوي".

أوّلا- مولده ونشأته.

هو محمّد عبد الله الشّرقاوي، ولد في جزيرة "أرمنت" بمحافظة الأقصر في صعيد مصر، في 5 نوفمبر 1950م، بدأ دراسته في الأزهر الشّريف، وبعدها التحق بكلية دار العلوم ، ثمّ الجامعة الأمريكية، حيث حصل على الدكتوراه في الفلسفة[1]. أستاذ ورئيس قسم الفلسفة الإسلامية ومقارنة الأديان بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، صاحب المجهود المتميّز في مجالي مقارنة الأديان والفلسفة الإسلامية والفكر الإسلامي، محليا وإقليميا وعالميا، وأحد المتخصصين في دراسات حوار الأديان وفقه الأولويات،كما يعدّ من أوائل الأكاديميين الذين أعادوا تقديم علم مقارنة الأديان في الجامعات المصرية والعربية[2].

ثانيا- مؤلفاته.

ألّف محمّد عبد الله الشّرقاوي عدّة مؤلفات في تخصّصات مختلفة، حيث ألّف في التّصوّف والفلسفة الإسلامية ومقارنة الأديان، وقد بلغ عدد مؤلفاته ما يزيد على 20 كتابا بين تأليف، وتحقيق، وترجمة. وتتمثل هذه المؤلفات في ما يلي:

- ✓ الإيمان حقيقته وأثره.
- ✓ الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام.
- ✓ الكنز المرصود في فضائح التّلمود.

---

[1]- شموائيل بن يهوذا، منامات السّموأل، بذل المجهود في إفحام اليهود، دار المنهل، دون بلد النّشر، دط، 2014م، ص34.

[2]- جمال عبد النّاصر، جمود الخطاب الدّيني أحد أسباب التّخلف والإرهاب، الأهرام نت، 29 جويلية 2014م، (تاريخ الدخول:3 مارس 2022م، سا 12:32). https://gate.ahram.org.eg/daily/News/309085.aspx

- ✓ في الفلسفة العامة.
- ✓ المستشرقون ونشأة التّصوّف الإسلامي.
- ✓ الاتجاهات الحديثة في دراسة التّصوّف الإسلامي.
- ✓ الفكر الأخلاقي دراسة مقارنة.
- ✓ النّصيحة الإيمانية في فضيحة الملّة النّصرانية.
- ✓ المنطق ومناهج البحث .
- ✓ مدخل نقدي لدراسة الفلسفة.
- ✓ تأمّلات حول رسائل الإدراك في القرآن.
- ✓ الصّوفية والعقل(رسالة ماجستير في الفلسفة الإسلامية عام 1978م، بتقدير امتياز).
- ✓ القرآن والكون.
- ✓ مبدأ السّببيّة بين ابن رشد وابن عربي.
- ✓ موقف الصّوفية في العقل في نهاية القرن الرابع.
- ✓ دراسات في الملل والنّحل(أصول الفلسفة الهيلينية).
- ✓ دراسة جيمس مونرو لوثيقة أندلسية حول سقوط غرناطة.
- ✓ العقائد الوثنية في الديانة المصرية.
- ✓ منهج نقد النّص بين ابن حزم واسبينوزا.
- ✓ الأسباب والمسببات في الفكر الإسلامي(رسالة دكتوراه في الفلسفة الإسلامية، دراسة تحليلية مقارنة للغزالي وابن رشد وابن عربي، بتقدير امتياز بمرتبة الشّرف).
- ✓ ابن الأنباري وآراؤه الكلامية.
- ✓ في مقارن الأديان،بحوث ودراسات. وهو الذي اخترناه كعيّنة للدراسة.

المحور الثّاني:الدّراسة العلميّة للكتاب.

أوّلا- الدّراسة الخارجية.

ألف محمّد عبد الله الشّرقاوي العديد من الكتب، والكتاب الذي اخترناه كعينة للدراسة اسمه:"في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات"، وهو كتاب في نقد الكتاب المقدس في ضوء المعارف الحديثة، يقع في 269 صفحة، طبع سنة 1990م الطبعة الثّانية، بدار الجيل في بيروت. الكتاب من الحجم المتوسط يقع في مجلد واحد، أمّا فيما يتعلق بنوعية الطّباعة فهي جيدة؛ الخط واضح وكبير يريح القارئ أثناء القراءة. وبالنّسبة للألوان المستخدمة في الكتاب فهي باهتة لا تجذب الأنظار إليها.

ثانيا- الدّراسة الداخلية.

1_ سبب تأليف الكتاب.

لقد استهل محمّد عبد الله الشّرقاوي مقدمته للحديث عن الأسباب التي دفعته للخوض في هذا المجال، وذكر سببين هما: السّبب الأوّل، و يتمثل في بيان أهميّة دراسة الملل والأديان والمذاهب، و دراستها دراسة تاريخية تحليلية مقارنة، لأنّه يعتبرها من صميم الثّقافة والتّراث الإسلامي، أمّا السّبب الثّاني، فيتمثل في أنّ المكتبة الإسلامية المعاصرة تشكو من وجهة نظره من الخواء والفقر المدقع في هذا المجال، رغم الحاجة الماسّة إلى مثل هذه المؤلفات، خصوصا بعد ظهور تلك الدّراسات النّقدية الواسعة والعميقة، التي وجهها علماء الغرب إلى أسفارهم المقدسة، وقد شملت هذه الدّراسات أسفار العهدين معا[1].

قد نتفق مع المؤلف في السّبب الأوّل، لكن نختلف معه في السّبب الثّاني المبالغ فيه من وجهة نظرنا، فالشّواهد التّاريخية تثبت عكس ذلك. فالمكتبة الإسلامية تزخر بالعديد من الدّراسات النّقدية للكتب المقدسة، ولا يسمح المقام بذكرها هنا لكثرتها، فالشّرقاوي نفسه تحدث عنها وأشاد بقيمتها العلميّة لأنّها على درجة ممتازة من التّثبّت العلمي والتّحقيق الموضوعي، واعتبرها اللّبنة الأولى في تأسيس ما يعرف اليوم في الغرب بالدّراسات النّقدية الحديثة للكتاب المقدس.

2- مضامين الكتاب:

قسّم محمّد عبد الله الشّرقاوي كتابه إلى مقدمّة وستّة مباحث، خصصها للمواضيع التّالية:

أ.التّعريف بأسفار العهدين:

تناول فيه المؤلف تعريفا وجيزا بأسفار العهدين- العهد القديم، العهد الجديد-، إذ عرّف العهد القديم أوّلا مبيّنا أقسامه وهي: 39 سفرا يقسّمها علماء الأديان إلى أربع مجموعات كما يلي: المجموعة الأولى: التّوراة والأسفار الخمسة، المجموعة الثانية: الأسفار التّاريخية وهي اثنا عشر سفرا، المجموعة الثّالثة: الأسفار الشّعرية أو أسفار الأناشيد، المجموعة الرّابعة: أسفار الأنبياء.

وبعدها ذكر الأسفار الخفية وأشار إليها أيضا، وبيّن أنّ هذا التّقسيم السّالف الذّكر هو حسب البروتستانت، في حين أشار في الهامش إلى تقسيم علماء "دائرة المعارف البريطانية" العهد القديم إلى ثلاث مجموعات فقط طبقا للتّقاليد اليهودية[2]. وبعد ذلك ينتقل للحديث عن العهد الجديد، إذ ركّز في البداية على مسألة مهمّة وهي عدم اتفاق الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس على تقديس أسفار العهد القديم. وبيّن بعد ذلك عدد أسفار العهد الجديد وهي:سبعة وعشرون سفرا مقسّمة إلى أربع مجموعات كالتّالي: الأناجيل الأربعة، أعمال الرّسل، الرّسائل المقدّسة وهي واحد وعشرون رسالة منها أربعة عشرة لبولس، وأخيرا سفر رؤيا يوحنا.

ويوضح محمّد عبد الله الشرقاوي بعد ذلك أنّ هذا التّرتيب هو الوارد في الطبعات الحديثة عند طائفة البروتستانت، وأورد قراري روما برعاية البابا "ديماسوس"سنة 382م، و "ترنت" سنة 1532م، بالإضافة إلى قائمة أسقف الإسكندرية "إثناسيوس" التي قدّمها بمناسبة عيد الفصح سنة 367م، ليبيّن فيما بعد الاختلاف بين هذه القوائم الثّلاث في مسألة ترتيب رسائل"بولس" ، وبيّن أيضا مراحل تثبيت العهد الجديد، والاختلاف الذي جاءت به طائفة البروتستانت حول رد بعض الأسفار لعدة وجوه.

[1]- محمّد عبد الله الشّرقاوي، في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1990م، المقدمة.

[2]- نفس المصدر، ص13.

وقد ضمّ عبد الله الشّرقاوي جدولا إلى هذا المبحث، ضمّنه قوائم أسفار العهد القديم المسلّمة والمعتمدة عند الروم والكاثوليك، والأسفار المعتمدة عند الأرثوذكس والبروتستانت، واليهود العبرانيين، وألحق به مجموعة من الملاحظات في الفرق بين هته الطوائف، وأضاف بعض المراجع للتوسع في معرفة أسفار العهدين باللّغة العربية والأجنبية.

ب.مخطوطات العهدين.

تناول فيه أقدم مخطوطات العهدين وتاريخ تدوينها، وذكر تقسيم العلماء الغربيين لهذه المخطوطات إلى ثلاثة أنواع وهي:مخطوطات البردي، وذلك لكتابتها على أوراق البردي، وهي ثمانون مخطوطة للعهد الجديد وأخرى للعهد القديم، أمّا النّوع الثّاني، فهي مخطوطات العهدين باللّغة الإغريقية، كتبت على رقوق الحيوانات تضمّ أسفار العهدين معا، وذكر بعض هذه المخطوطات. أمّا النّوع الثّالث والأخير، فهي سبع مخطوطات وهي أقل أهميّة. وفي ختام هذا المبحث أرفقه ببعض محتويات مخطوطات العهدين.

ج.النّقد العلمي لسند التوراة.

وخصصه للحديث عن النّقد العلمي لسند التّوراة وبقية أسفار العهد القديم.حيث بيّن الغرض من هذا المبحث، وهو لابد لكون الكتاب سماويا واجب التّسليم أن يثبت بدليل قاطع أنّ موسى عليه السّلام هو من كتبه أو أملاه، ثمّ وصل إلينا بعد ذلك بالسّند المتصل. ولإثبات ذلك وضع محمّد عبد الله الشّرقاوي شرطين أساسيين للبرهنة على ذلك وهما:أن يثبت ثبوتا قطعيّا أنّ نبيّا من الأنبياء قد كتبه أو أملاه بناء على وحيّ سماويّ، وأن يكون الكتاب قد وصل إلينا بالسّند المتّصل المتواتر الذي تتلقاه الكافة من النّاس عن مثلها، بلا تغيير أو تبديل. وأورد بعد ذلك أمثلة على بعض الأسفار التي نسبت زورا إلى عيسى عليه السّلام، مريم عليها السّلام، بطرس الحواري، يوحنا، أنديا الحواري، برتولما الحواري، طوما الحواري، يعقوب الحواري، متياه، مرقص، تهيودوشن، وبولس.

ثمّ أشار بعد ذلك إلى ضرورة دراسة هذه القضية (سند العهد القديم) عند العلماء الغربيين اللاهوتيين يهودا ونصارى، وعند علماء مقارنة الأديان المسلمين. و ذكر منهم (علماء الغرب) سبينوزا ومنهجه في نقد سند التّوراة، وأهم النّتائج التي توصل إليها. ثمّ ذكر نماذج عن أغاليط التّوراة وإقرار علماء اللاّهوت بشأنها، وأخيرا عقّب على كل ما ذكره باستنتاج أنّه لا سند متّصل لأيّ سفر من العهد القديم.

د. الأناجيل الأربعة بين انقطاع السّند وتناقض المتن.

تناول فيه الأناجيل الأربعة بين انقطاع السّند وتناقض المتن (محل الدراسة)، بحيث استهل كلامه عن قدسية العهد الجديد عند النّصارى، وأنّه يستحق الدّراسة والتّمحيص، ولهذا ركّز في دراسته على خاصيتي:نقد السّند ونقد المتن. وبعدها تحدث عن أهميّة"علم مقارنة الأديان" واعتناء العلماء المسلمين به، واعتبر أنّ هذه العناية كانت ثمرة لتوجيهات القرآن الكريم وعنايته بهذه النّاحية. بعدها انتقل للحديث عن المنهج الذي سيسير عليه في هذا المبحث، وأخيرا تناول مسألة نقد سند ومتن الأناجيل الأربعة بكثير من التّفصيلات، والتي سنأتي على ذكرها في حينها.

هـ .النبوّة والأنبياء.

تطرّق فيه المؤلف لموضوع النبوّة والأنبياء في التّوراة والقرآن الكريم، وحاجة النّاس إليهم، ثمّ تطرق لمسألة صورة الأنبياء وملامحها في التّوراة والإنجيل والقرآن الكريم، ثمّ عمد إلى عقد مقارنة بين بعض هؤلاء الأنبياء، وخرج في الأخير بنتيجة مفادها: أنّ ما جاء في هذه الكتب (التّوراة والإنجيل) عن رسل الله، لهو خير دليل على تحريفها وتزويرها.

و .مقوّمات الشّخصية الإسرائيلية.

تناول فيه المؤلف مقوّمات الشّخصية الإسرائيلية في التّوراة والإنجيل والقرآن الكريم، ثمّ تحدث عن مسألة تفضيل بني إسرائيل على العالمين وتبعاتها على الفكر الإسرائيلي، ثمّ تناول مقوّمات الشّخصية الإسرائيلية في كل من التّوراة والإنجيل والقرآن الكريم، بشكل مستقلّ ومستفيض، وفي الأخير ختم المبحث بثلاث فوائد.

ثالثا– القيمة العلميّة للكتاب بين الدّراسات النّقدية الحديثة للكتاب المقدس.

بعد اطلاعنا على الكتاب من خلال موضوعاته وتقسيماته، لا نظنّ أنّ أحدا من الدّارسين سيجهل أهميّة هذا الكتاب، والمنزلة العلميّة التي يحتلها بين الدّراسات النّقدية الحديثة للكتاب المقدس، وقد سدّ ثغرة مهمّة في بابه، فلا يكاد يستغنى عنه لما يتضمّنه من اقتباسات كثيرة لمقالات الغربيين الذين درسوا كتابهم بموضوعية تامّة، واكتشافهم للتّحريف الكثير.

ولعل ما يبرز أهميّة هذا الكتاب، ويكشف عن منزلته وقيمته العلميّة هو محاولة وضع منهج جديد لدراسة ونقد الكتاب المقدس بعهديه، بحيث يقول محمّد عبد الله الشّرقاوي: "إنّ المكتبة الإسلامية لتشكوا الخواء والفقر المدقع في هذا المجال، رغم الحاجة الماسّة لمثل هذه المؤلفات؛ خصوصا بعد ظهور تلك الدّراسات النّقدية الواسعة والعميقة، التي وجهها علماء الغرب إلى أسفارهم المقدسة"[1].

وممّن أشادوا بالقيمة العلميّة لهذا الكتاب الدّكتور يوسف الكلام؛ بحيث اعتبره من أهمّ الكتب التي يمكن أن يستفيد منها الطّالب في دراسة الأديان. وهو مهمّ للغاية لمن يريد أن يتعرّف عن أعلام نقد الكتاب المقدس في الغرب[2].

المحور الثّالث: طريقة الشّرقاوي في نقد الأناجيل الأربعة[3] بين انقطاع السّند وتناقض المتن.

لقد كان للتّقدّم الذي أحرزته البشرية في القرن المنصرم في شتى مجالات وميادين المعرفة، أثرٌ في عدّ هذا العصر عصر الانفجار المعرفي والتّقدم العلمي؛ إذ قُدّر فيه للنّاس أن يتعرفوا على بعض أسرار التّاريخ السّحيق وخفاياه، من خلال ما تمّ اكتشافه وتحليله من مخطوطات ووثائق تاريخية غيّرت مسار الدّراسات والأبحاث الإنسانية، ويعود الفضل في الكشف عن هذه الحقائق للحركة العلميّة

---

[1]- نفس المصدر، ص6.

[2]- يوسف الكلام، دورة علم الأديان في التّراثين الإسلامي والغربي، https://www.youtube.com/watch?v=Pn4cBoghbk4

[3] – وهي التي اعترفت بها الكنائس المسيحية في القرن الثّالث بعد المسيح عليه السّلام، دون غيرها، وهي التي أثبتها من قبل إعلانها في المجمع الأوّل"نيقية"، أرينيوس عام 209م، ثمّ جاء من بعده كليمنس اسكندريانوس عام 216م، وقرّر أنّ هذه الأناجيل واجب التّسليم بها، ثمّ كان مجمع نيقية عام 325م، فارتقى بهذه الأناجيل إلى درجة وجوب تقديسها وحدها دون غيرها. (راجع: رؤوف شلبي، أضواء على المسيحية، منشورات المكتبة العربية، بيروت، لبنان، دط، 1975، ص 37– 38).

النّقدية، التي خاضت غمار هذه الوثائق والمخطوطات التّاريخية، ووضعتها تحت مجهر التّحقيق والتّدقيق. ومن ضمن الكشوف المعرفية ما يخص جانب الدّيانات ونصوصها المقدسة، حيث يعدّ توثيق النّصوص الدينية من أكثر فروع المعرفة الإنسانية أهميّةً؛ لما ينبني عليه من التّثبّت من صحة المعتقد والشّريعة اللّذين يمثلهما النّص الدّيني.

وأسهمت هذه الموجة من الكشوفات في الوقوف على أخطاء خطيرة في نصوص الكتاب المقدس الذي طالما وصف بالقداسة، وأحيط بهالات التّبجيل فرفع عن طاولة البحث والنّقاش، مما أسقط عنه قناع التّقديس ووضعه في مصاف النّصوص البشـــرية الأخرى[1].

وكان حصيلة هذه الجهود نشأة علم له أركانه وقواعده عرف بـ:"علم نقد الكتاب المقدس". وهو علم يهدف إلى إبراز سائر المشكلات الخاصة بنصوص الكتاب المقدس وتوضيحها، كوجود التّناقضات بينها وعدم الاتساق فيما بينها، ودراستها باعتبارها نصوصا تاريخية في ضوء المعطيات التّاريخية، وبالتّالي وضع أساس للدّراسات الأخرى، الاجتماعية والتّاريخية والدّينية، التي تتناول العصور التي تمّ فيها وضع الكتاب المقدس وتدوينه[2].

وقد أشار "آرثر جفري" إلى غاية هذا العلم بأنّه التّنقيب عن تطوّر الكتب المقدسة القديمة، وما حصل لها من التّغيير والتّبديل، الأمر الذي أدى إلى التّنازع بين أهل النّقل و بين أصحاب هذه الأبحاث[3].

وقد تأثر علماء المسلمين بدورهم بهذا العلم وأولوه عناية خاصة، وأدلوا بدلوهم في مجال الدّراسات النّقدية للكتاب المقدس، كل حسب طريقته ومنهجه.

أوّلا- منهج الدراسة.

وهنا يعرض محمّد عبد الله الشّرقاوي الخطوات التي سيسير عليها في نقده للأناجيل الأربعة، ويعطينا تصوّرا عاما حول مخطط البحث، إذ يقول في مستهل حديثة: "سرنا في هذا البحث على ذكر أ صحاب الأناجيل شخصا شخصا، مبيّنين الغموض والنّقص الشّديد في المعلومات عن حياتهم وسيرتهم؛ أيّ الجهل بحالهم، وبعدهم عن صاحب الرّسالة عيسى عليه السّلام، وبالجملة بيّنّا انقطاع سند هذه الأناجيل، ثمّ أشرنا إلى جانب ممّا تحتويه هذه الأناجيل من تناقض وتهافت وتكاذب وتعاند ووهاء، ناقلين عن كتّابهم ومؤلفيهم ومفسري أناجيلهم، ودوائر معارفهم"[4].

سنحاول من خلال هذا المبحث إبراز الإطار العام، والسّمات البارزة في طريقة المؤلف في نقده للأناجيل الأربعة، وذلك بالتّركيز على خاصتي انقطاع السّند وتناقض المتن، وكذا معرفة ما مدى التزامه وسيره على المنهج الذي وضعه منذ البداية.

ثانيا- الأناجيل الأربعة بين انقطاع السّند وتناقض المتن.

أوّلا- انقطاع السّند.

[1] - سناء الغزاوي ومحمّد الحوري، علم نقد الكتاب المقدس وأثره في الدّراسات الاستشراقية للقرآن الكريم، المجلة الأردنيّة في الدّراسات الإسلامية، مج 14، ع4، 2018م، ص 66.

[2] - عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، دار الشّرق، بيروت، لبنان، ط1، 1999م، ج3، ص 248.

[3] - عبد الله بن سليمان السّجستاني، كتاب المصاحف، تحقيق: آرثر جفري، المطبعة الرّحمانية، القاهرة، مصر، ط1، 1936م، المقدمة.

[4] - في مقارنة الأديان، مصدر سابق، ص 142-143.

اعتمد الشّرقاوي في هذه الخاصية على ذكر أصحاب الأناجيل شخصا شخصا، مبيّنا الغموض والنّقص الشّديد في المعلومات عن حياتهم وسيرتهم؛ وبيّن انقطاع سند هذه الأناجيل. معتمدا في ذلك على نصوص لعلماء لاهوتيين نصارى، إذ نجده يستشهد بأقوالهم لتفنيد هذه القضية.

1) إنجيل يوحنا: لقد أثيرت عدّة تساؤلات حول هوية كاتب هذا الإنجيل، من يكون؟، لمن كتب إنجيله؟، ما المصادر التي اعتمدها؟، متى كتب إ نجيله؟. فيرى"جون مارش" مفسر إنجيل "يوحنا":"أنّه من المستحيل الاعتقاد بأنّه خلال السّنوات العشر الأخيرة من القرن الأوّل الميلادي، قام شخص يدعى"يوحنا"، من الممكن أن يكون يوحنا مرقس (خلاف لما هو شائع من أنّه يوحنا بن زبادي الصيّاد أحد التّلاميذ الاثني عشر الحواريين) ...قد تجمعت له معلومات وفيرة عن يسوع، و من المحتمل أنّه كان على دراية بواحد أو أكثر من الأناجيل المتشابهة (متى، مرقس، لوقا)، فقام عندئذ بتسجيل شكل جديد لقصة يسوع، اختص بها طائفته الخاصة، التي كانت تعتبر نفسها عالمية، كما كانت متأثرة بوجود تلاميذ يوحنا المعمدان"[1].

ويرى "موريس بوكاي" أنّ هذه المسألة موضوع نقاش طويل، وقد طرحت آراء شديدة الاختلاف في هذا الشّأن، إذ ينقل عن "أ.كولمان" قوله: "إنّ كل شيء يدفع إلى الاعتقاد بأنّ النّص المنشور حاليا (إنجيل يوحنا)، ينتمي إلى أكثر من مؤلف واحد، فيحتمل أنّ الإنجيل بشكله الذي نملكه اليوم، نشر بواسطة تلامذة المؤلف، وأنّهم قد أضافوا إليه". ويخلص "بوكاي" إلى أنّ الملاحظات الصّادرة عن أبرز الكتّاب المسيحيين حول هوية المؤلف، تشير إلى الغموض والخلط فيما يتعلق بأبوة هذا الكتاب.

وتعبّر دائرة المعارف البريطانية عن رأيها بهذا الخصوص بكل صراحة، بقولها:" أمّا إنجيل يوحنا فإنّه لا مرية ولا شك كتاب مزوّر؛ أراد صاحبه مضادّة اثنين من الحواريين (يوحنا بن زبدي الصيّاد ومتى)، وقد ادّعى هذا الكاتب المزوّر في متن الكتاب، أنّه هو الحواري الذي يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها، وجزمت بأنّ الكاتب هو: "يوحنا الحواري"، ووضعت اسمه على الكتاب نصا، ولا يخرج الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التّوراة، التي لا رابط بينها وبين من نسبت إليه".

وينقل محمّد أبو زهرة في كتابه "محاضرات في النّصرانية"، عن الأستاذ "استادلن" قوله عن هذا الإنجيل: "إنّ كافة إنجيل يوحنا تضيُّف طالب من طلبة الإسكندرية". ويرى أبو زهرة أنّ إنكار النّصارى لنسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الصيّاد الحواري، ليس وليد هذه العصور المتأخرة فحسب، بل ابتدأ في القرن الثّاني الميلادي، وقد أنكروا هذه النّسبة إلى يوحنا الحواري، وكان بينهم "أرينوس" تلميذ "بوليكارب"، تلميذ يوحنا الحواري، ولم يرد عليهم بأنّه سمع من أستاذه صحة تلك النّسبة، ولو كانت صحيحة لعلم بذلك حتما تلميذه بوليكارب، ولأعلم بدوره تلميذه أرينوس، ولأعلن هذا الأخير تلك النّسبة عندما شاع إنكارها[2]. أمّا تاريخ تدوين هذا الإنجيل، فهو محل خلاف، إذ نجد "بوست" يرجّح أنّه كتب سنّة 90م أو سنة 98م أو سنة 96م، فيما يرى "هورن" أنّه سنة 68م أوسنة 69م، أو سنة70م أو 89م أو سنة 98م.

2) إنجيل مرقس:

[1]- نفس المصدر ، ص 144.

[2]- محمّد أبو زهرة، محاضرات في النّصرانية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السّعودية، ط4، 1984م، ص60.

يتساءل الشّرقاوي بداية عن هوية محرّر هذا الإنجيل؟، وأنه لا أحد يملك حجة أو وثيقة تعرّفنا بشخصه، وكل ما يذكر هو آراء شائعة لا حجة واضحة عليها، أو دليلا مقنعا يثبتها[1]. ويستشهد بمجموعة من الآراء بهذا الخصوص. فأورد مقولة "نينهام":"لم يوجد أحد بهذا الاسم عرف أنّه كان على صلة وثيقة وخاصة بيسوع، أو كانت له شهرة خاصة في الكنيسة الأولى...ومن غير المؤكد صحة القول المأثور، الذي يحدّد مرقس كاتب الإنجيل بأنّه يوحنا مرقس المذكور في أعمال الرسل 12:12، 25، أو في رسالة بطرس الأولى 13:5، أو بولس إلى كولوسي 10:4، أو رسالته الثّانية إلى ثيموثاوس 11:4". ويرى "أ.كولمان" أن مرقس يهودي الأصل بقوله: "إنّ هناك كثيرا من تراكيب الجمل (في هذا الإنجيل)، تدعم الفرض القائل بأنّ مؤلف هذا الإنجيل يهودي الأصل"، فهو لا يعتبر مرقس تلميذا للمسيح، ويذكر إشارات في العهد الجديد تتحدث عن رجل اسمه "يوحنا ويلقب بمرقس". ويعلّق بوكاي بقوله: "إنّ هذه الفقرات لا تذكر أنّه مؤلف إنجيل، وحتى نص مرقس نفسه لا يشير إلى ذلك، ويرى أنّ فقر المعلومات الخاصة بهذه النّقطة قد قادت المعلقين إلى أن يأخذوا بتفاصيل تبدو وهمية، على أنّها عناصر ذات قيمة". ويشير "نينهام" إلى صعوبة تحديد شخصية مرقس قائلا: "لقد كان من عادة الكنيسة الأولى أن تفترض جميع الأحداث التي ترتبط باسم فرد ورد ذكره في العهد الجديد، إنّما ترجع جميعا إلى شخص واحد له هذا الاسم!!، لكن إذا تذكرنا أنّ اسم مرقس كان أشهر الأسماء اللاّتينية شيوعا في الإمبراطورية الرومانية...عندئذ نتحقق من مقدار الشّك في تحديد الشّخصية في هذه الحالة".

ويستنتج عبد الله الشّرقاوي أنّ علماء النّصارى لا يعرفون بالضبط من هو مرقس كاتب الإنجيل، وإن كان الرأي الشّائع أنّه من تلاميذ بطرس وتابعيه[2]. ويرى "جرانت" أنّ هذا الرّأي من الموروثات الغريبة، وهو يشبه في غرابته استنتاج القديس "أوغسطين" الخاطئ بأنّ مرقس كان واحدا من الذين تبعوا متى، واختصروا إنجيله".

أمّا عن تاريخ كتابة هذا الإنجيل فهو محل جدل، إذ يرى "نينهام" أنّه غالبا قد كتب في الفترة ما بين 65م-75م، ويعتقد كثير من العلماء أنّ ما كتبه مرقس في الإصحاح13، قد سطّر بعد عام 70م ". فيما يرى "هورن" أنّه ألّف سنة56م وما بعدها إلى سنة 65م. أمّا اللّغة التي حرّر بها فيرى "بوست" أنّه كتب باليونانية. ويقول أ.كولمان:" أنّ وجود المناحي اللّغوية اللاّتينية، يوحي بأنّه كتب إنجيله في روما".

3) إنجيل متى:

يرى الشّرقاوي أنّ التخمين والظنّ وعدم التّحقق هي الصّفات الطّاغية على كتابات اللاّهوتيين النّصارى حول شخصية متى، ويظهر هذا جليا في الأسلوب الذي يعالج فيه المؤلفون النّصارى مشكلات هذا الإنجيل من النّاحيتين الدّينية والفنية[3].

ويستعرض بعض الآراء مثل قول "فنتون" (مفسر إنجيل متى):"إنّ ربط مؤلف هذا الإنجيل شخصيته بهذا التّلميذ هي بالتّأكيد خيال محض". ويرى"بوكاي" أنّه لم يعد مقبولا بعد اليوم القول إنّه أحد حواري المسيح. ويزعم الدكتور أ.كولمان أنّ متى يهودي؛ لكون مفردات كتابه فلسفية، أمّا التّحرير فيوناني، إذ يقول: "إنّ الكاتب (متى) يخاطب أناسا يتحدثون اليونانية، فإنّهم يعرفون العادات اليهودية واللّغة الآرامية". ويؤيد هذا الزعم "جرانت" بقوله: "مؤلف إنجيل متى يهودي بلا شك". ويرى "بوكاي" أنّه لما كان

[1] – في مقارنة الأديان، مصدر سابق، ص163

[2] – نفس المصدر، ص 123.

[3] – نفس المصدر ، ص 170.

اسم المؤلف غير معروف بالتّحديد، فالأنسب هو الاكتفاء ببعض الخطوط المرسومة في إنجيل متى نفسه. ويذهب إلى تأكيد وترسيخ رأيه الرامي إلى أنّ متى ليس تلميذا من تلاميذ عيسى عليه السّلام بقوله: "تلك صورة بعيدة كل البعد عن صورة الموظف البيروقراطي بكفر ناحوم الذي يطلق عليه مرقس ولوقا ليفي، والذي أصبح واحدا من حواري المسيح الإثني عشر".

وأمّا عن لغة كتابة هذا الإنجيل فالرأيّ الشّائع لدى كثير من الباحثين أنّه قد كتب –أساسا– باللّغة العبرية، ثمّ نقل منها إلى اللّغة اليونانية التي عرف بها، لكن هذه المصادر تسكت عن ذكر المترجم أو الإشارة إليه. وأمّا تاريخ تدوينه فيذكر "هورن" سنة 61 أو 62 أو 63 أو 64م، ويذكر "فنتون" أنّه حرّر في الفترة من 80 إلى 105. وإنّ اختلاف الدارسين النّصارى حول المكان الذي ألف فيه هذا الإنجيل، ليس بأقل من خلافهم حول شخصية متى نفسه أو السّنة التي حرّر فيها إنجيله[1].

4) إنجيل لوقا:

اختلف الباحثون في شخصية لوقا وفي صناعته، وفي القوم الذين كتب لهم إنجيله، وفي تاريخ تأليفه. واتفقوا على نقطتين، هما: أنّ لوقا ليس من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ تلاميذه، وأنّه حرر إنجيله باللّغة اليونانية[2]. يقول "جورج كيرد" (مفسر إنجيل لوقا):"إنّه من النّادر ذكر لوقا كشخصية بارزة في سجلات التّاريخ للقرن الأول من المسيحية...وإن كانت الفكرة السّائدة لدى الكتّاب (النّصارى) الأقدمين، هي أنّ مؤلف الإنجيل كان لوقا الطبيب الذي يذكره بولس كصديق ورفيق في رسائله كولوسي 4:14، فليمون 24:1 ثيموثاوس 4:11". ويرى "كيرد" أنّ لوقا ليس من تلاميذ المسيح وليس من اليهود، في حين يرى بوكاي أنّه وثنيّ آمن بالمسيحية. وعن تاريخ التّدوين، فيرى النّقاد الحاليون أنّه كتب ما بين 80و90م، بينما يرى "جرانت" أنّه حوالي80 أو85م، كما حدد كل من الدكتور "بوست" و"هورن" تواريخ مختلفة لكتابة هذا الإنجيل.

ومن خلال ما تقدم نخلص إلى أنّ مسألة نقد السّند ارتكزت على النّقاط التّالية: الجهل بهوية أصحاب الأناجيل، نسبة الأناجيل إلى مؤلفيها غير مقطوع بها، كتبة الأناجيل ليسوا شهود عيان لما كتبوه، كتبة الأناجيل ليسوا حواري المسيح، بُعد مؤلفي الأناجيل عن زمن عيسى عليه السّلام، الاختلاف في أمكنة كتابة الأناجيل. ومن هنا يتبيّن لنا عدم صحة روايات الأناجيل الأربعة؛ لكونها تفتقد إلى السّند المتصل.

ثانيا– تناقض المتن.

ونورد هنا الأمثلة التي ساقها الشّرقاوي عن علماء الغرب حول تعارض متن هذه الأناجيل والتّناقض الحاصل فيها.

1) إنجيل يوحنا:

بالنّسبة لمتن هذا الإنجيل لم يذكر الشّرقاوي أمثلة كثيرة عنه، وإنّما مجرد إشارة خفيفة، إذ نقل عن دائرة المعارف الأمريكية قولها: "إنّ هناك مشكلة هامة وصعبة، تنجم عن التّناقض الذي ظهر في نواح كثيرة من الإنجيل الرّابع والثّلاثة المتشابهة، إنّ الاختلاف بينهما عظيم، بحيث لو قبلت الأناجيل الثلاثة المتشابهة باعتبارها صحيحة موثوقا بها، فإنّ ما يترتب على ذلك هو عدم صحة إنجيل يوحنا ". ويعتبر "جرانت" هذا الإنجيل تقديما دراميا لحياة يسوع، ورسالته وموته وتمجيده، وأنّه كتب بغرض التّعليم والعبادة في الكنائس، وكذلك للتبشير خارج الكنيسة. وهو يختص بموضوعات كانت محل جدل في العالم المسيحي الأمميّ (غير اليهود)، في نهاية

[1] – نفس المصدر، ص 174.

[2] – نفس المصدر ، ص 182.

القرن الأوّل أو بداية القرن الثّاني، ويضيف "جرانت" كان يوحنا على علم بوجود الأناجيل الثّلاثة المتشابهة، وأنّه قد كتب إنجيله ليكملها أو ليصححها. ويرى "بوكاي" أنّ القيمة التّاريخية لروايات يوحنا، موضع نزاع كبير فالأمور التي تتنافر مع الأناجيل الثّلاثة الأخرى صارخة". ويعلّل الأستاذ "أ. كولمان" هذه الاختلافات الصارخة أنّ ليوحنا مرامي لاهوتية، تختلف عن مرامي المبشرين الآخرين. وأمام هذا الاختلاف يتساءل "بوكاي" :"إذن فمن يجب أن نصدق؟، متى ؟ أم مرقس؟ أم لوقا؟ أم يوحنا؟"[1]. وترى دائرة المعارف الأمريكية، أنّ التّأثير الإغريقي في المسيحية له شواهد؛ ذلك أنّ الفقرات الأولى من صدر إنجيل يوحنا، إنما تشير بوضوح إلى أسلوب شعري ورواقي فلسفي في الكلمة.

وهناك قضية أخرى وهي الفلسفة الغنوصية، والتي يعتبرها "جرانت" ذات تأثير عميق في التّعاليم المسيحية، فقد اعتنقها الكثيرون من المسيحيين الأوائل وخاصة رجال الكنيسة، فتولّد صراع الأفكار بين هؤلاء وهؤلاء وتمخّض عن ذلك إنجيل يوحنا، الذي أُستحدث في الكتب المسيحية الأولى تعبيرات فلسفية جديدة مثل "في البدء كان الكلمة، والكلمة كانت عند الله وكان الله الكلمة..."[2]، وقد أثار هذا الإنجيل مشكل لاهوت المسيح، وإدخال فكرة الحلول–حلول الخالق في المخلوق–، واستقى ذلك من الفلسفات والأساطير القديمة. وإن كان غرض هذا الإنجيل محاربة الفلسفة الغنوصية التي تأثر بها بولس، وتقرير لاهوت المسيح، فإنّه ما لبث أن سقط في الغنوصية ولم يستطع الفكاك منها.

ويختم الأستاذ "تشارلز بوتر" بنتيجة أنّ تعاليم يسوع وعقيدته وإيمانه الشّخصي، التي وضعها كتبة الأناجيل، لم تكن أبدا عقيدة التّثليث التي أُستحدثت في الغنوصية، التي أنشأها بولس ومن جاء بعده[3].

2) إنجيل مرقس:

من القضايا التي طرحها الشّرقاوي في هذا الإنجيل قضية المتن والتّناقض الحاصل فيه، إذ ينقل عن "بوكاي" قوله:" أنّ نصف هذا الإنجيل يظهر عيبا رئيسا أوّليا لا جدال فيه، فلقد حرّر دون اهتمام بالتّعاقب الزّمني للأحداث ....كما أنّ المبشر يبرز افتقارا كاملا للمعقولية". ويقول "الأب روجي: "إنّ مرقس كان كاتبا غير حاذق، وأكثر المبشرين ابتذالا، فهو لا يعرف أبدا كيف يحرر حكاية...". ويذكر علماء النّصارى أنّ هذا الإنجيل فيه معضلات قادحة، ليس من السّهل التّغلب عليها، منها: التّناقض الدّاخلي في أحداثه، ورواياته، وعدم اتفاق أيّ نسختين من النّسخ المخطوطة منه على نص واحد، إذ إنّ كل واحدة تخالف الأخرى. إذ يقول "نينهام" بهذا الخصوص: "لقد وقعت تغييرات تعذر اجتنابها، وهذه حدثت بقصد أو بدون قصد، ومن بين مئات المخطوطات لإنجيل مرقس، والتي لا تزال باقية حتى الآن لا نجد نسختين اثنتين تتفقان تماما ". ويرى بوكاي أنّ هناك تناقضا بين إنجيل مرقس ومتى ولوقا فيما يتعلق ببعض الأحداث مثل: حكاية آية يونس، الآيات التي يعطيها المسيح للبشر أثناء بعثته، فيسرد مرقس عنها حكاية لم تعد قابلة للتصديق". أمّا فيما يتعلق بخاتمة هذا الإنجيل، فهي الأخرى غير متفق عليها في النّسخ المختلفة، وتعتبر في نظر بعض المراجع مثل النّسخة القياسية المراجعة[4] من العهد الجديد، فقرات غير موثوق فيها. ويجزم "بوكاي" بأنّ هذه

---

[1]- نفس المصدر ، ص 146.

[2] -يوحنا/1:1.

[3]- في مقارنة الأديان، مصدر سابق، ص 150.

[4]- ترجمة إنجليزية للكتاب المقدّس، نشرت لأوّل مرّة عام 1902م (راجع: أحمد عبد الوهاب، حقيقة التّبشير بين الماضي والحاضر، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط2، 2010م، ص 103.)

الخاتمة غير موجودة في أقدم مخطوطتين كاملتين للأناجيل[1]، اللّتين يرجع تاريخهما إلى القرن الرّابع، ويعلّق "الأب كانينجر" على هذه الخاتمة بقوله: "لابد أنّه حدث حذف للآيات الأخيرة عند الاستقبال الرّسمي لكتاب مرقس في الجماعة التي ضمنته...وبعد أن جرت بين الأيدي الكتابات المتشابهة لمتى ولوقا ويوحنا، تمّ توليف خاتمة محترمة لمرقس؛ وذلك بالاستعانة بعناصر من هنا ومن هناك، لدى المبشرين الآخرين...وذلك يسمح بتكوين فكرة مادية عن الحرية التي كانوا يعالجون بها (الأناجيل) حتى أعتاب القرن الثّاني ".ويعلّق "بوكاي" على هذا الكلام بقوله:"يا له من اعتراف صريح بوجود التغييرات التي قام بها البشر على النّصوص المقدسة!!، يا له من اعتراف ذلك الذي تقدمه لنا تأمّلات هذا العالم اللاّهوتي الكبير"[2].

3) إنجيل متى:

من المشكلات المثارة في هذا الإنجيل مشكلة نسب المسيح، حيث نسب متى المسيح إلى إبراهيم عليه السّلام عن طريق داود، إذ قال في مفتتح إنجيله: "كتاب يسوع بن داود بن إبراهيم.." [3].وقد تناول ابن حزم هذه المسألة بالتفنيد والرد فقال: "فأعجبوا لهذه المصيبة الحالّة بهم، ما أفحشها وأوحشها!! متّى الكذاب ينسب المسيح إلى يوسف النّجار، ثمّ ينسب يوسف إلى الملوك من ولد سليمان بن داود عليه السّلام أبا فأبا، ولوقا ينسب يوسف النّجار إلى آباء غير الذي ذكر متى، حتى يخرجه إلى ناثان بن داود أخي سليمان بن داود. ولابد ضرورة من أن يكون أحد النّسبين كذبا، فيكذب متى أو لوقا، أو لابد أن يكون كلا النّسبين كذبا، ولا يمكن ألبتة أن يكون كلا النّسبين حقا"[4].

ومن مشكلات هذا الإنجيل أيضا خطأ استشهاد متى بنبوءات العهد القديم، التي أسرف فيها غاية الإسراف.وتوقعه أيضا نهاية العالم بقوله: "قبل أن يدرك الموت بعض معاصري المسيح، والذين استمعوا إلى تعاليمه...وقبل أن يكون ذلك الجيل الذي عاصر المسيح قد فنى"[5].ويرد "جون فنتون" على هذا الزعم بقوله: "لم يحدث كما توقعه متى". وهذا طبعا لم يحدث. فلا القيامة قامت، ولا المسيح عاد، برغم مرور عشرين قرنا على فناء الجيل المعاصر له[6].

4) أنجيل لوقا:

يحتوي هذا الإنجيل على عدّة مشكلات، وعلى رأسها مشكلة نسب المسيح والاختلاف بينه (لوقا) وبين ما أورده متى حول التّسلسل الزمني، وقد أشرنا إلى هذه المسألة سابقا. وكذلك مسألة طفولة المسيح، فهناك اختلاف في سرد الوقائع بين لوقا ومتى. وهناك أيضا مسألة سرّ القربان المقدس، وهو حدث ذو أهمية رئيسة بالنّسبة للمسيحيين، فيلاحظ "الأب روجي" في كتابه "مقدمة إلى الإنجيل" وهو يسوق سرّ القربان المقدس، أنّ الصّيغة التي ينقلها لوقا تقارب كثيرا تلك التي يذكرها بولس في الرّسالة الأولى إلى أهل كورنتة (الإصحاح 11- 23:25).كما أنّه يحدّد تاريخ صعود المسيح في إنجيله بيوم الفصح، ويحدده في أعمال الرّسل بأربعين يوما بعد الفصح.

---

[1]- تحت مسمّى (Codex Sinatitcus-Codex Faticanus)

[2]- موريس بوكاي، القرآن والتّوراة والإنجيل والعلم، تقديم: محمّد العجرودي، مؤسسة إقرأ للنّشر والتّوزيع والتّرجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2014م، ص 91.

[3]- متى/1:17.

[4]- ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنّحل، تحقيق: محمّد إبراهيم نصر وعبد الرّحمان عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان،ط2، 1996م،ص 33.

[5]- متى/ 16: 24-28 -34.

[6]- محمّد السّعدي، حول موثوقية الأناجيل، منشورات الجهاد، طرابلس، ليبيا، ط1، 1985م، ص45.

ويختم عبد الله الشرقاوي حديثة عن هذه المشكلات والتّناقضات بقضية الإلهام عند لوقا، الذي أقرّ في صدر إنجيله بأنّه يكتب بغير إلهام بقوله: "إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة. رأيت أنا أيضا إذ تتبعت كل شيء من الأوّل بتدقيق، أن أكتب على التّوالي..."[1]، إذ يعترف هنا لوقا بأنّه لم يكتب إنجيله بالإلهام من الله، بل كتبه نتيجة ما سلّمه إليه آخرون بقوله (إذ قد تتبعت) وفي بعض الرّوايات(إذ قد أدركت) ولم يقل (إذ قد أُلهمت)، وكتب هذا كما كتبه الكثيرون فهو يسير على خطى من سبقوه قبله[2].في حين أنّه في رسالة أعمال الرسل يتحدث عن إلهام الرّسل وعن صلتهم بالروح القدس، وهذه المسألة يناقض فيها لوقا نفسه، وهو الوحيد الذي زعم الإلهام للرسل. وعليه يتساءل الشرقاوي ما قيمة الزعم الذي يجيء من رجل لم يكن من تلاميذ المسيح، ولم يكن من تلاميذ التّلاميذ (بحسب استنتاج علماء اللاّهوت)، ولم يكن من خدام الكلمة (المسيح)، ولم يكتب ما كتب عن وحيّ وإلهام[3].

وفي الأخير خرج محمّد عبد الشّرقاوي بنتيجة مفادها: أنّ الملاحظات الانتقادية الحديثة والمعاصرة التي وجهها علماء النّصارى لكتبهم المقدسة تمتد إلى جانبين رئيسين هما: جانب السّند ونقده نقدا علميّا، والتّحقق من انقطاعه وعدم اتصاله بصاحبه، وجانب المتن، ونقده نقدا علميّا كذلك، وإظهار تناقضه. وعلى هذا الأساس بيّن الشّرقاوي أنّ قضية السّند والمتن كليهما لا يثبتان أمام النّقد والتّمحيص العلمي والمنهجي.

ثالثا- سلبيات وإيجابيات طريقة الشّرقاوي في نقد الأناجيل الأربعة.

بعد حديثنا عن طريقة الشّرقاوي في نقد الأناجيل الأربعة، والتي ارتكزت على خاصيتي نقد السّند وتناقض المتن، نتطرق الآن للحديث عن سلبيات وإيجابيات هذه الطّريقة، حتى نتمكن من معرفة قيمتها العلميّة، وما مدى فعاليتها في نقد هذه الأناجيل.

1.السّلبيات:

بالرغم من أهميّة الطّريقة التي اتبعها محمّد عبد الله الشّرقاوي في نقد الأناجيل الأربعة، إلاّ أنّه يعاب على دراسته بعض الأمور نوجزها في النّقاط التّالية:

1)كثرة الاقتباسات غطت على شخصية الشّرقاوي العلميّة؛ إذ اعتمد على نقل الأقوال والآراء دون تعقيب عليها، إلاّ في بعض الحالات.

2) تخصيص الشّرقاوي لجزء كبير من كتابه "في مقارنة الأديان" لدراسة التّوراة، في حين كانت دراسته للأناجيل الأربعة جدّ مقتضبة إذا قورنت بالتّوراة، وهذا ما صعّب علينا الدّراسة وضيّق علينا المجال.

3) تركيز الشّرقاوي على منهج نقد السّند وإغفال مناهج أخرى، وهي في غاية الأهمية في الدّراسات النّقدية الحديثة للأناجيل الأربعة. منها المنهج "الأركيولوجي" الذي كان له الفضل الكبير في الحدّ من الأفكار المتوارثة حول الأديان، والنّصوص المقدسة، فقد استطاعت الآثار أن تقدم عونا هائلا للتّاريخ وللأنتربولوجيا في تقصّي الحقائق، والاعتماد على أرض صلبة من الوثائق والوقائع[4].

---

[1] - لوقا/ 1: 1-4.

[2] - سمير سامي شحاتة، الاختلافات في الكتاب المقدس، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، دط، 2004م، ص 112.

[3] - في مقارنة الأديان، مصدر سابق ص187.

[4] - خزعل الماجدي، علم الأديان، مؤمنون بلا حدود للنّشر والتّوزيع، الرباط، المملكة المغربية، ط1، 2016م، ص260.

وكذلك المنهج "الفيلولوجي" الذي يُراد به دراسة لغة أو لغات من حيث قواعدها وتاريخ أدبها ونقد نصوصها[1]. ويهتم بدراسة النّصوص بشكل يؤهل لدراسة الحضارة القديمة، مع مراعاة فترات التّطوّر الإنساني فيها سياسيّا واقتصاديّا واجتماعيّا وأدبيّا، من خلال استيعاب عقلية الشّعوب وتطوّرها الثّقافي وتمظهراتها اللّغوية. ويهتمّ أساسا بثلاث نقاط رئيسة: إعداد النّصوص وطبعها، نقد صحة النّصوص، البحث عن مصادر النّصوص. وتتمثل وظيفته في المحافظة على آثار المجتمع المكتوبة على أصلها، والمحافظة عليها[2].

4) تركيز الشّرقاوي على تناقض المتن وعدم اهتمامه بتناقض نسخ الأناجيل على الرغم من أهميتها، إذ جاء في الموسوعة البريطانية: "إنّ جميع النّسخ الأصلية للعهد الجديد التي كتبت بأيدي مؤلفيها الأصليين قد اختفت. وإنّ هناك فاصلا زمنيا لا يقل عن مائتين أو ثلاثمائة سنة بين العهد الجديد وتاريخ كتابة مخطوطاته الموجودة حاليا ". إنّ فناء النّسخ الأصلية للأناجيل، يعني ببساطة أنّنا لا نستطيع التّأكد من موثوقية النّسخ التي بين أيدينا اليوم، وإذا علمنا أنّ أقدم مخطوطات العهد الجديد الموجودة حاليا، ترجع إلى القرن الثّالث الميلادي، وإنّ آخر الأناجيل كتبت سنة 100م، فإنّنا نخلص إلى أنّ هناك فاصلا زمنيا بين تاريخ كتابة الأناجيل وتاريخ مخطوطاتها يزيد على مائتي سنة، وهذا الفاصل الكبير نسبيّا يجعل الأناجيل معلقة في الهواء بلا سند متصل بين كتبتها ومخطوطاتها[3].

ويقول ول ديورانت بهذا الخصوص: "وترجع أقدم النّسخ التي لدينا من الأناجيل الأربعة إلى القرن الثّالث، أمّا النّسخ الأصلية فيبدو أنّها كتبت بين عامي 60 - 120م، ثمّ تعرضت بعد كتابتها مدة قرنين من الزمان لأخطاء في النّقل، ولعلها تعرضت أيضا لتحريف مقصود يُراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التي ينتمي إليها النّاسخ في أغراضها...ويقول بيبياس إنّ مرقس ألّف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس"[4].

بالإضافة إلى مسألة تناقض نسخ الأناجيل هناك مسألة اختلاف ترجمات هذه الأناجيل، إذ أصبح لزاما أن تتوفر في أيّ مترجم جملة شروط من أهمها: الإلمام التّام باللّغتين المنقول منها وإليها، وكذلك الأمانة والدقة. وتظهر أهميّة صحة التّرجمة وسلامتها، من حيث إنّ معظم الذين يعتمدون عليها هم من لا معرفة لهم باللّغة الأصلية للنّص المترجم، فعليه تكون التّرجمة بمثابة الأصل عندهم، فأيّ خطأ صغير أو كبير في التّرجمة لا سيّما فيما يتعلق بالأسفار المقدسة، يترتب عليه فتنة في الأرض وفساد كبير. وعلى سبيل المثال هناك كلمتان في أسفار النّصارى المقدسة وقع خلل في ترجمتها من اللّغة الأصيلة – سواء بقصد أو بغير قصد –، فكلمة "آب" بمد الهمزة تعني بالعبرية "الله أو الفاطر"، وكلمة "ربي" بكسر الراء معناها بالآرامية "مُعلّم"، فلما نقلت الكلمتان إلى اللّسان العربي نطقا ورسما دون المعنى، أصبحت الأولى بمفهوم "أب" بقصر الهمزة أي "الوالد" والثّانية بمفهوم "رَبي" بفتح الراء[5]. وترجمات العهد الجديد كثيرة، لكن جلّها متأخّر، كما أنّ أفضلها مجهول التّاريخ والمنهج التّرجميّ، بالإضافة إلى تضاربها فيما بينها، كما أنّ في كل لغة قصورا عن كشف دقائق النّصوص المترجمة عن اللّغات الأخرى[6].

---

[1] – علي عبد الواحد وافي، علم اللّغة، نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، الجيزة، مصر، ط9، 2004م، ص 14.

[2] – يوسف الكلام، القراءات الحداثية للقرآن الكريم ومناهج نقد الكتاب المقدس، مجلة البيان، الرّياض، السّعودية، ط1، 2012م، ص 66- 67.

[3] – محمّد السّعدي، دراسة الأناجيل الأربعة والتّوراة، دار الثّقافة، الدوحة، قطر، ط1، 1985م، ص35.

[4] – ول ديورانت، قصة الحضارة، دار الجيل، بيروت، لبنان، دط، 1988م، مج3، ص207.

[5] – عبد الرّزاق بن عبد الأرو، مصادر النّصرانية، دار التّوحيد للنّشر والتّوزيع، الرّياض، السّعودية، ط1، 2007م، ج1، ص689- 690.

[6] – سامي عامري، استعادة النّص الأصلي للإنجيل، مركز الفكر الغربي، الرّياض، السّعودية، ط1، 2017م، ص 317-318.

5) اكتفاء الشّرقاوي بذكر الإنجيل والإصحاح ثم الفقرة، دون كتابة النّص كاملا، حتى يستطيع القارئ معرفة مواطن انقطاع السّند وتناقض المتن من خلال هذه النّصوص.

6) فيما يتعلق بمسألة نقد المتن، فالشّرقاوي يعرض مسائل حول تناقض متن الأناجيل، لكن لا يفصّل فيها، ويترك القارئ في حيرة، ولا يرضي فضوله ومن أمثلة ذلك: حكاية آية يونس، الآيات التي يعطيها المسيح، طفولة المسيح...إلخ، فالشّرقاوي اكتفى بذكرها ولم يبيّن مواطن التّناقض فيها.

7) اقتصار الشّرقاوي في نقده للأناجيل الأربعة على بعض القضايا، وإهماله لقضايا أخرى ذات أهميّة من بينها:بداية دعوة المسيح، موعظة الجبل، معجزات المسيح، صلب المسيح، العشاء الأخير، صعود المسيح...إلخ، فمعرفة هذه القضايا يزيد من القيمة العلميّة للدّراسة.

8)لم يتوسع الشّرقاوي في المقارنة وغلب عليه الاستعراض والإيجاز.

وفي الأخير هذه جملة من السّلبيات حول طريقة الشّرقاوي في نقد الأناجيل الأربعة، لكن هذا لا ينقص من قيمة هذه الطّريقة، فلا يكاد يخلو أيّ عمل من السّلبيات. لكن لو تدارك الشّرقاوي هذه النّقائص واستفاد منها، لكانت دراسته في غاية الدّقة والشمولية والمصداقية. ولعل ما يشفع له أنّه أبدى عن رغبته في إنجاز دراسة مستقلة مستفيضة عن قضية انقطاع السّند وتناقض المتن من المصادر الإسلامية الأصلية في المستقبل القريب.

2.الإيجابيات

بعد حديثنا عن سلبيات طريقة الشّرقاوي في نقد الأناجيل الأربعة، فلا تخلو هذه الأخيرة من إيجابيات نذكر منها ما يلي:

أ) الاستدلال بانقطاع السّند على صحة روايات الأناجيل.

لقد كان استدلال الشّرقاوي على انقطاع السّند مبنيّا على خاصيتين طبقهما على العهد القديم والعهد الجديد، سبق الإشارة إليهما آنفا، ومن الواضح أنّه استقى هاتين الخاصيتين من القرآن الكريم والسّنة النّبوية الشّريفة، حيث يعتبرهما البذرة الأولى في نشأة الدّراسات النّقدية الحديثة [1]، وهذا منهج حسن، وباستخلاصه هاتين الخاصيتين العقليتين وتطبيقهما على الأناجيل الأربعة، ثبت أنّ هذه الأناجيل لا تستجيب لهاتين الخاصيتين، وهذا ما يقدح في صحة الرّوايات الإنجيلية. وطريقة الشّرقاوي في الاستدلال على هذه القضية كانت بانطلاقه من مقدمة للوصول إلى نتيجة، كما اعتمد على المصادر الأصلية في نقد الأناجيل، وهو حين يعرض آراء هؤلاء العلماء الغربيين، فإنّه يسوقها مجرّدة من دون تغيير ولا تبديل، وهذا يعدّ من الأمانة العلميّة.

ويتضح لنا أنّ الشرقاوي قد وفق إلى حد كبير في دراسة مسألة انقطاع السّند المبنيّة على أسس علمية وموضوعية، وهذا من شأنّه أن يضفي على الدّراسة طابع الموضوعية والمصداقية.

ب)الاستدلال بتعارض المتن على عدم معقولية روايات الأناجيل.

لقد كان استدلال الشّرقاوي على تعارض المتن مبنيّا على دراسة النّصوص الإنجيلية، والمقارنة بينها واكتشاف التّعارض الكبير في متنها، وهذا من خلال ما نقله من نصوص عن علماء لاهوتيين، الذين توصلوا انطلاقا من تعارض متون هذه الأناجيل إلى عدم معقولية ومنطقية روايتها، واعتمد الشّرقاوي في استدلاله على التّناقض بين الأناجيل فيما بينها، والتّناقض في متن الإنجيل الواحد،

[1]- في مقارنة الأديان، مصدر سابق، ص 141.

وهذا يعدّ من ايجابيات الدّراسة، فيبطل بذلك الزّعم القائل بأنّ هذه الأناجيل هي عبارة عن إنجيل واحد بأربع روايات، إذ كيف يكون إنجيل واحد رباني يختلف في الروايات فيما بينها والرواية الواحدة.

وفي الأخير يمكننا القول بأنّ الشّرقاوي قد سلك مسلكا سديدا في الاستدلال على قضية انقطاع السّند وتناقض المتن، ممّا جعل الأناجيل الأربعة في منأى عن القدسية التي أضفاها النّصارى على كتبهم.

خاتمة:

وفي ختام هذه المقالة توصلنا إلى جملة من النّتائج نوجزها فيما يلي:

1) يعتبر الشّرقاوي من الكتّاب المعاصرين، الذين أولو عناية كبيرة بعلم مقارنة الأديان وقضاياه، حيث كان المسهم الأوّل في إدخال هذا التّخصص إلى جامعة القاهرة، رغم أنّه ليس من المتخصصين في هذا المجال.

2) يعتبر كتاب "في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات"، إسهام كبير في إثراء مكتبة مقارنة الأديان، لكونه عالج قضية نقد السّند والمتن في الكتاب المقدس بعهديه بطريقة علميّة.

3) تعد دراسة الشّرقاوي للأناجيل الأربعة مطابقة للدّراسات النّقدية الحديثة؛ لاعتماده على مصوّرات من مخطوطات البحر الميّت، مع ذكر أقوال العلماء الجهابذة المتخصصين في النّقد البناء للكتاب المقدس بصفة عامة والأناجيل الأربعة بصفة خاصة.

4) تناول الشّرقاوي عدة قضايا مهمّة أثيرت حول الأناجيل الأربعة، منها: الجهل بهوية المؤلفين، تاريخ التّدوين، لغة كتابة الأناجيل، نسب المسيح وطفولته، سر القربان المقدس، تناقض متن وسند الأناجيل فيما بينها، وخلص إلى أنّ الإجابات المقدمة حول هذه القضايا ليست سوى احتمالات وتخمينات، لا تصمد أمام النّقد العلمي الحديث.

5) اعتمد الشرقاوي في استدلاله على انقطاع السّند على خاصيتين وهما: أن يثبت ثبوتا قطعيا أنّ نبيّا من الأنبياء كتبه أو أملاه بوحيّ إلهي، وأن يصل إلينا هذا الكتاب كذلك بعد ذلك بالسّند المتّصل الذي ترويه الكافة بلا تغيير ولا تبديل، وعليه استنتج أنّ الأناجيل الأربعة لا تستجيب لهاتين الخاصيتين ولا تندرج تحت مسمّى الوحي الإلهي لما لحقها من تغيير وتبديل.

6) التزام الشرقاوي الموضوعية والأمانة العلميّة، في اقتباس وعرض آراء العلماء اللاّهوتيين .

7) إنّ الدّراسة العلميّة الجادة في حقل الأديان والملل والنّحل، لا مجال فيه للتّعصب المقيت الذي يشلّ صاحبه ويعميه عن رؤية الحق ، والاستماع إلى ندائه و التّحرك صوبه.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب:

1) الأناجيل الأربعة.

2) أحمد عبد الوهاب، حقيقة التّبشير بين الماضي والحاضر، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط2، 2010م.

3) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنّحل، تحقيق:محمّد إبراهيم نصر وعبد الرّحمان عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان،ط2، 1996م.

4) خزعل الماجدي، علم الأديان، مؤمنون بلا حدود للنّشر والتّوزيع، الرباط، المملكة المغربية، ط1، 2016م.

5) رؤوف شلبي، أضواء على المسيحية، منشورات المكتبة العربية، بيروت، لبنان، دط، 1975م.

6) سامي عامري، استعادة النّص الأصلي للإنجيل، مركز الفكر الغربي، الرياض، السّعودية، ط1، 2017م.
7) سمير سامي شحاتة، الاختلافات في الكتاب المقدس، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، دط، 2004م.
8) شموائيل بن يهوذا، منامات السّموأل، بذل المجهود في إفحام اليهود، دار المنهل ، دون بلد النّشر، دط، 2014م.
9) عبد الرّزاق بن عبد الأرو، مصادر النّصرانية، دار التّوحيد للنّشر والتّوزيع، الرّياض، السّعودية، ط1، 2007م، ج1.
10) عبد الله بن سليمان السّجستاني، كتاب المصاحف، تحقيق:آرثر جفري، المطبعة الرّحمانية، القاهرة، مصر، ط1، 1936م.
11) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، دار الشّرق، بيروت، لبنان، ط1، 1999م، ج3.
12) علي عبد الواحد وافي، علم اللّغة، نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، الجيزة، مصر، ط9، 2004م.
13) محمّد أبو زهرة، محاضرات في النّصرانية، الرّئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرّياض، السّعودية، ط4، 1984م.
14) محمّد السّعدي، حول موثوقية الأناجيل، منشورات الجهاد، طرابلس، ليبيا، ط1، 1985م.
15) محمّد السّعدي، دراسة الأناجيل الأربعة والتّوراة، دار الثّقافة، الدوحة، قطر، ط1، 1985م.
16) محمّد عبد الله الشرقاوي، في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1990م.
17) محمّد عبد الله دراز، الدّين، ، مؤسسة إقرأ، القاهرة، مصر، دط، 2007م.
18) موريس بوكاي، القرآن والتّوراة والإنجيل والعلم، تقديم: محمّد العجرودي، مؤسسة إقرأ للنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر،ط1، 2014م.
19) ول ديورانت، قصة الحضارة، دار الجيل، بيروت، لبنان، دط، 1988م.
20) يوسف الكلام، القراءات الحداثية للقرآن الكريم ومناهج نقد الكتاب المقدس، مجلة البيان، الرّياض، السّعودية، ط1، 2012م.

المجلات العلميّة:

21) سناء الغزاوي ومحمّد الحوري، علم نقد الكتاب المقدس وأثره في الدّراسات الاستشراقية للقرآن الكريم، المجلة الأردنيّة في الدّراسات الإسلامية، مج 14، ع4، 2018م.

المواقع الإلكترونية:

22) جمال عبد النّاصر، جمود الخطاب الدّيني أحد أسباب التّخلف والإرهاب، الأهرام نت، 29 جويلية 2014م ،(تاريخ الدخول:3مارس2022م، سا 12:32).
https://gate.ahram.org.eg/daily/News/309085.aspx
23) يوسف الكلام، دورة علم الأديان في التّراثين الإسلامي والغربي،
https://www.youtube.com/watch?v=Pn4cBoghbk4